جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

القصائد ذات البعد السياسي عند البارودي
دراسة تناصية ثقافية

الدكتورة
نادية عبد الرحمن محمد علي
أستاذ الأدب العربي المساعد ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
الجزء الثامن

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

القصائد ذات البعد السياسي عند البارودي دراسة تناصية ثقافية

نادية عبد الرحمن محمد علي

قسم الأدب العربي المساعد ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : nadiaabdelrahman@edu.asu.edu.eg

الملخص

يتناول هذا البحث القصائد ذات البعد السياسي في شعر البارودي من وجهة تناصية ثقافية، ومما يدعم هذا الاتجاه في الدراسة كون البارودي واحدا من أهم رواد النهضة في شعرنا العربي في العصر الحديث.

وتنبع أهمية تلك الدراسة من كونها ترصد مواطن تأثر البارودي بالتراث، والذي يعد معينا لا ينضب ينهل منه الشعراء عبر العصور، وهو معين يسهم في إثراء النص ويضيف إليه عناصر قوة و جاذبية.

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية الدراسة في تساؤل رئيس، وهو: كيف وظف البارودي التناص في شعره السياسي؟ كيف انعكست ثقافة البارودي في تناصه؟

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي ، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى كالمنهج النفسي والمنهج التاريخي.

يقع هذا البحث في مقدمة وتمهيد وقسمين، احتوت المقدمة على التعريف بموضوع البحث وأهميته وبيان أهدافه، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وتقسيم البحث وخطته.

ثم جاء التمهيد ليتناول التعريف بالشاعر البارودي وتكوينه الثقافي والصراع السياسي في عصره، والقسم الأول من البحث يتناول التناص من المصدر الأدبي، والقسم الثاني التناص الديني.

ثم تأتي الخاتمة وفيها أهم النتائج، ويليها قائمة المراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحية : البعد السياسي ، البارودي ، الشعر السياسي ، دراسة تناصية ، دراسة ثقافية .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Poems with a political dimension for Al-Baroudi: A cultural intertextuality study

Nadia Abdel Rahman Mohamed Ali
Assistant Department of Arabic Literature, Faculty of Education, Ain Shams University, Arab Republic of Egypt .
Email: nadiaabdelrahman@edu.asu.edu.eg

Abstract

This research deals with poems with a political dimension in Al-Baroudi's poetry from a cultural intertextuality point of view. This trend in the study is supported by the fact that Al-Baroudi is one of the most important pioneers of the Renaissance in our Arabic poetry in the modern era.

The importance of this study stems from the fact that it monitors where Al-Baroudi was affected by heritage, which is an inexhaustible source of poets through the ages, and it is a certain that contributes to enriching the text and adds to it elements of strength and attraction.

Research problem: The problem of the study is represented in a main question, which is: How did Al-Baroudi employ intertextuality in his political poetry? How was the culture of Al-Baroudi reflected in his intertextuality؟

The researcher relied on the descriptive analytical method, with the help of some other methods, such as the psychological method and the historical method.

This research is located in an introduction, a preamble, and two parts. The introduction contained a definition of the research topic, its importance, its objectives, the approach followed, previous studies, the division of the research and its plan.

Then came the preface to deal with the definition of the poet Baroudi, his cultural composition and the political conflict in his time, and the first section of the research deals with intertextuality from the literary source, and the second section religious intertextuality.

Then comes the conclusion with the most important results, followed by a list of references and sources .

Keywords: the political dimension, al-Baroudi, political poetry, intertextuality study, cultural study.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

يعد البارودي رائدا من رواد شعرنا العربي الحديث، ويمثل حالة شعرية فريدة؛ إذ جمع بين الشعر والسياسة، وجاءت قصائده محملة بطابع حماسي وتعكس عذوبة وشاعرية، وقد تناوله الباحثون المعاصرون بطرق عدة، منها ما هو مباشر بدراسة نتاجه الشعري كاملا أو جزئيا بدراسة عمل من أعماله، ومنها ما هو غير مباشر بدراسته في إطار دراسة الشعر الحديث في مطلع عصر النهضة، لكونه رائدا للنهضة، ولعمق تجربته الشعرية وثرائها، وعلى الرغم من الكثرة البيِّنة في تناول شعر البارودي، وتنوع اتجاهات الباحثين في تناوله، وفق مناهج متعددة كالمنهج الفني، وغيره من المناهج كالمنهج الأسلوبي، والسيميائي، وبعضهم تناوله وفق دراسات نوعية طرقت قضايا فرعية في الشكل أو المضمون، على الرغم من ذلك كله فإنه ما زال كنزا ومعينا يستحق كثيرا من البحث والدراسة.

ويتناول هذا البحث القصائد ذات البعد السياسي في شعر محمود سامي البارودي من وجهة تناصية ثقافية، ويهدف في المقام الأول إلى معرفة مدى تأثر الشاعر بالنصوص التراثية المعاصرة له والسابقة عليه زمنيا، ومما يدعم هذا الاتجاه في الدراسة كون البارودي واحدا من أهم رواد النهضة في شعرنا العربي في العصر الحديث، إن لم يكن الرائد الأول للنهضة.

وتنبع أهمية تلك الدراسة من كونها ترصد مواطن تأثر البارودي بالتراث، والذي يعد معينا لا ينضب ينهل منه الشعراء عبر العصور، وهو معين يسهم في إثراء النص ويضيف إليه عناصر قوة و جاذبية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن المضامين المهمة في شعر البارودي المضمون السياسي، الذي يرصد معاناة الشعب المصري، ومعاناة الشاعر، وهي معاناة كان لها آثارها على شعره ؛ في عصر زخر بأحداث كبرى، وتعنت سياسي لكل من يعارض السلطة، ويدخل في نطاق الشعر السياسي الشعر الذي قاله البارودي في منفاه، سواء أكان سياسيا يتناول شئون الحكم وأمور السياسة أم كان لغرض التشوق للوطن وإظهار التحسر عليه واللوعة لفراقه.

وقد اتكأت الباحثة على القصائد السياسية في شعر البارودي، وهو مِن الشعراء الرواد الذين اتسمت تجاربهم بالتنوع والثراء، والحق أنه رغم تعدد القراءات حول شعره فإنه مازال منبعا ثرًّا للبحث والدراسة؛ لعمق تجاربه، وتنوع أبعادها، وصدق مشاعره، وكان التركيز على القصائد السياسية أو ذات البعد السياسي؛ كونها تحتاج من الشاعر التأكيد واستدعاء الحجج ليؤكد كلامه، ومن ثم ربما يلجأ للتراث لما له من مصداقية لدى المتلقي، وهذه القصائد توافرت في شعره بكثرة، وهو الشاعر الذي خاض غمار السياسة وشارك في الثورة العرابية ونفي خارج مصر.

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية الدراسة في تساؤل رئيس، وهو: كيف وظف البارودي التناص في شعره السياسي؟ ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس تساؤلات فرعية، منها:

- ما المصادر التي اتكأ عليها الشاعر في تناصه؟
- ما مدى نجاح البارودي في توظيف التناص؟
- هل كان البارودي ملما بالتراث وعلى اطلاع عليه بما يكفي ليتمثله في شعره؟
- كيف انعكست ثقافة البارودي في تناصه؟

منهج البحث:

تحقيقا للغاية السابقة اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الوصفي التحليلي الذي يجمع بين الأدب والنقد، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى التي تمكن الباحث من الإحاطة بمكونات النص الأدبي، كالمنهج النفسي والمنهج التاريخي.

الدراسات السابقة: توجد كثير من الدراسات التي تناولت شعر البارودي بصفة عامة- ومنها:

شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي، مجيد صادقي مزيد، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية، فصلية محكمة، العدد ١٣٩٠، ٢١هـ

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق أهداف متعددة، منها:

رصد مواضع التناص في قصائد البارودي ذات الطابع السياسي، ومدى قدرة الشاعر على توظيفها في شعره.

بيان مدى نجاح البارودي في توظيف التناص.

بيان علاقة التاريخ والشخصيات التي استخدمها الشاعر في شعره بالهدف الذي أنشأ النص من أجله.

تحديد الثقافة التي ينتمي إليها النصوص ذوات البعد السياسي في شعر البارودي

بيان علاقة النصوص ذوات البعد السياسي بنظام الثقافة العربية التي ينتمي إليها الشاعر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خطة البحث:

يقع هذا البحث في مقدمة وتمهيد وقسمين، احتوت المقدمة على التعريف بموضوع البحث وأهميته وبيان أهدافه، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وتقسيم البحث وخطته.

ثم جاء التمهيد ليتناول التعريف بالشاعر محمود سامي البارودي وتكوينه الثقافي والصراع السياسي في عصره

القسم الأول من البحث يتناول التناص من المصدر الأدبي

القسم الثاني التناص الديني.

ثم تأتي **الخاتمة** وفيها أهم النتائج، ويليها قائمة المراجع والمصادر.

التمهيد

التعريف بالبارودي وسمات شعره:

محمود سامي البارودي الشاعر العبقري الذي قاد نهضة الأدب، ولد عام ١٨٣٩م وقد كتب له القدر دورا كبيرا في مجريات الحياة السياسية في مصر، ودورا رائدا أيضا في نهضة الشعر العربي من بعد كبوته، ومن المعلوم أن أصول الشاعر تعود إلى الجراكسة الذين حكموا مصر، وجاء من بعدهم الأتراك العثمانيون(١) وقد قام الجراكسة المماليك بدور كبير للذود عن مصر والعالم العربي ضد أخطار كل من الصليبين، والمغول(٢)

ولد البارودي، وقد مات أبوه، وهو في سن السابعة، فكفله بعض أقاربه، والتحق فيما بعد بالمدرسة الحربية في الثانية عشرة، واتجه للشعر العربي، يحفظ روائعه، وينهل من كنوزه ما يسد احتياجه للبطولة والمجد(٣)، ورأى في شعره صورة لنفسه، وطموحاته، وهو شبيه بابن المعتز، والشريف الرضي، وأبي فراس، وامرئ القيس، وشعرهم يتسم بالروعة والذيوع، وكان ممن عاصروا البارودي الشاعر الساعاتي، وعبد الله فكري، ولم يعجبه شعرهم؛ فموهبته في الشعر غير موهبتهم جميعا(٤).

---

(١) ينظر: محمود سامي البارودي شاعر النهضة، د. علي الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م، ص٢٨، ٢٩

(٢) السابق، ص ٣٠

(٣) ينظر: ديوان البارودي، تحقيق وضبط علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٨

(٤) السابق، ص ٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكان البارودي قد قرأ كثيرا من كتب التاريخ والشعر، وسيرة أجداده الذين حكموا مصر، ويتمنى لو عاصرهم [١] وقال البارودي للشعر راجيا منه خلق ميادين لمجده، تعوضه ما لم يحققه في الحرب، بعد أن استكانت مصر عن أمور القتال آنذاك[٢]

والبارودي ينظم الشعر عن سليقة، وهو الذي قد حفظ دواوين شعراء بني أمية والعباسيين، واتصل البارودي بحاشية إسماعيل، الذي كان يطمح في بداية حكمه لاستعادة مجد مصر، وتولى البارودي الفيلق الرابع من عسكر الحرس الخاص، وخاض حرب جزيرة كريت مع الدولة العثمانية، ومنحه السلطان الوسام العثماني من الدرجة الرابعة [٣]

وانضم البارودي للحركة القومية، طامحا لاستعادة مجد آبائه المماليك فشكَّلَ الوزارة في عهد توفيق، وانضم لثورة عرابي، ونفي لجزيرة سرنديب، وعاد لمصر عام ١٩٠٠م، وتوفي عام ١٩٠٤م[٤].

ومن الناحية الاجتماعية لم يكن البارودي من الطبقات الكادحة التي لمست القهر والمعاناة، فهو من الجراكسة الذين حازوا مناصب في الدولة، ولكنه شارك في الثورة على الظلم والفساد الفاسد[٥]

---

(١) ينظر: محمود سامي البارودي شاعر النهضة، د. علي الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م، ص ٧٢

(٢) ينظر: ديوان البارودي، تحقيق وضبط علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٠

(٣) السابق، ص ١٠، ١١

(٤) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١٠، د.ت، ص ٨٥، ٨٦

(٥) ينظر: محمود سامي البارودي شاعر النهضة، د. علي الحديدي، ص ١٣١

ومنهج البارودي في شعره هو نهج القدامى، بعيدا عن الضعف والخمول وضيق الأغراض وتفاهتها ، وتكرار المعاني وغلبة الصنعة الأسلوبية [١] .

وقد أسهمت ، الجذور الشركسية في تشكيل شخصية الباودي فقرأ في كتب القدامى [٢] ، كما أن البيئة المصرية بأحداثها كان لها دور كذلك في شخصيته وأثرت في تكوينه الأدبي، ما دفع به ليكون شاعر مصر المميز[٣]

وأغراض شعر البارودي متعددة، بين الغزل والوصف والحروب والمعارك والحكمة، ومما ساعده على ذلك اطلاعه على الشعر العربي، وعبر من خلاله عن حياته وما يطمح [٤] .

والبارودي أتقن التركية وقرأ الأدب التركي وحاكاه ، وقامت وشائج بينه وبين أدباء الترك، وأتقن الفارسية، ونظم شعرا بها، بهدف تأكيد قدرته على النظم[٥] .

وكان لحياته المضطربة دور في نظم الشعر فجرى الشعر على لسانه، دون تكلف وعناء [٦] وهو صاحب الأسلوب البياني المحافظ، فرصد من خلاله الأحداث الكبرى، مرجعا الشعر ازدهاره وسطوته [٧] .

---

(١) ينظر: محمود سامي البارودي شاعر النهضة ، ص ٧٥
(٢) ينظر: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي، مجيد صدقي مزيدي، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية، للغة العربية وآدابها، العدد(٢١) ٢٠١١م، ص ٢٢
(٣) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، د.شوقي ضيف، ص ٨٧
(٤) ينظر: ديوان البارودي، تحقيق وضبط علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، ص ٨
(٥) ينظر: محمود سامي البارودي شاعر النهضة،د. علي الحديدي، ص ٧٨
(٦) ينظر: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي، مجيد صدقي مزيدي، ص ٢٣
(٧) ينظر: تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، د. أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٩٤م، ص ٦٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وشعره قائم على بعث الأسلوب القديم، وإحيائه، ودعوة غيره من الشعراء إلى تقليد القدامى، من خلال قوة الأسلوب وجزالته [١] .

تكوين البارودي الثقافي وأساتذته

لاشك أن البارودي كان ذا ثقافة غنية جدا؛ فقد اطلع على عيون التراث العربي، ونهل من شعرائه في أعصر قوته، وهذا ما أوضحه أستاذه حسين المرصفي في كتابه الوسيلة الأدبية من أن البارودي امتلك الطبع النقي، وقرأ أساليب الشعر القديم، وتمثل هيئات التراكيب العربية في وقت وجيز، وحفظ دواوين القدامى، واستثبت معانيها، وأدرك ما ينبغي وما لا ينبغي من وسائل الكلام وطرقه[٢] ولا يعتمد أسلوب أي شاعر ما حفظه من تراث القدامى فحسب، بل هناك عوامل أخرى تسهم في تشكيل أسلوب أي شاعر منها ذوقه الخاص وطريقته في إدراك الأشياء[٣]

ولعل إقبال البارودي على كتب التراث كانت نتيجة لقناعته بأنه لابد له من التدريب والمران؛ وأن يتخذ لصوته سندا وإطارا؛ فانطلق يبحث عن غايته في الشعر العربي منذ الجاهلية حتى العصر العباسي، وكلما ازداد قراءة في الشعر القديم ازداد به شغفا وحبا وإقبالا[٤]

والبارودي في فترة منفاه أتيح له أن ينهل من القراءة؛ نظرا لتفرغه هناك، فأكب على عيون الشعر العربي، واطلع على تراث جم، فحفظ أشعار

---

(١) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، د.شوقي ضيف، ص ٨٨

(٢) ينظر: الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، حسين المرصفي، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ١٢٩٢هـ، ص٤٧٤

(٣) السابق، ص ٤٧٣

(٤) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، د.شوقي ضيف، ص ٨٤

فحول شعراء العربية، كأبي الطيب المتنبي والبحتري، وأبي تمام، والشريف الرضي وغيرهم.

وشعر البارودي تلمح به متانة الأسلوب، ومختاراته تدعم جودة نقده، وسعة اطلاعه، وقصيدة الشعر عنده عربية أصيلة شكلا وديباجةً[١]

شعر البارودي السياسي

برز البارودي بين شعراء عصره؛ بما امتلكه من موهبة حقيقية هيأته ليتبوأ مركز الريادة، وليقوم بدوره في إحياء الشعر العربي ورد الاعتبار له بعد عصور من الانحطاط والاضمحلال، وكان من المضامين البارزة في شعره الشعر السياسي الذي دفعه لمركز الصدارة بين أبناء شعبه، وجعل منه الزعيم المحبوب، وتسبب فيما بعد في سجنه ونفيه خارج مصر، وهو الشاعر الطموح الذي امتلك أملا كبيرا في أن يستعيد مجد آبائه، وهو صاحب العقل الذكي، والفؤاد الأبي[٢]

ولا شك أن البارودي كان متمردًا على الظلم، محبًّا للحرية، ولعبت الوراثة، والنشأة دورا في هذا؛ إضافة إلى ما استوعبته ذاكرته من شعر الحماسة والقوة عند العرب، وقد تغنوا بحروبهم وشجاعتهم، وكان شعرهم سجلًّا لأخلاقهم، وقد اطلع عليه البارودي فرسخت هذه الصفات في ذهنه، فشَبَّ مطبوعًا عليها يتمثلها ويحتذيها، مرددا إياها في شعره، متمنيا أن يحققها عملًا في الحياة [٣] وكما سبق أن أوضحنا أن الشعر السياسي هو

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب، تقديم طه حسين،مطبعة حكومة الكويت، وزارة الإعلام، د.ت، الجزء الرابع، القسم الثاني، ص ٤٥١.
(٢) ينظر: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ج١، ص٢٠٧
(٣) السابق، ص٢٠٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشعر الذي قاله تعبيرا عن الظلم والاستبداد السياسي الـذي عاشـت فيـه مصر، ووصف الحرب وتداعياتها وكل ما قاله في المنفى، إضـافة للشـعر الذي قاله الشاعر في منفاه متحسرا على الوطن وأيام شبابه.

ومن ثم فإن البارودي في شعره السياسي هو ذلك الثائر المتمرد الذي لا يرضى لوطنه وأبناء وطنه بالذل والظلم، وكانت لديه رغبة قوية فـي أن يحوز ما حازه أجداده من المناصب العليا، ولكن الظروف لم تكن معه فانتهى به المطاف منفيا، وفي المنفي فقد وزجته، وفقد بصره، وعاد لمصـر فـي أخريات أيامه.

وبناء على ما سبق يمكن تقسيم مواضع التناص في شعر البـارودي السياسي إلى تناص أدبي وتناص ديني .

المبحث الأول: التناص الأدبي

التناص هو إعادة تفكيك النصوص وتركيبها مرة أخرى، مع البحث في حالات التداعيات السابقة على النص؛ بهدف إبراز مكامن الإبداع الفني في النص الجديد، لأن النص مجموعة من التفاعلات والتقاطعات الذهنية التي يتم اختزانها في ذاكرة المبدع، والتي يوظفها في نصه الشعري الجديد، متيحا للقارئ مساحة من التفكير والنقد [١]

والتناص مصطلح قديم عُرف عند العرب بأسماء متنوعة كالتضمين والسرقة الأدبية والاقتباس والأخذ، والمعاني التي تجري مجرى الأمثال، ومن منظور الدراسات الثقافية فإن دور النص ينحصر في كونه مادة خام تُستخدم من أجل استكشاف أنماط معينة، وليس مهما على الإطلاق قراءة النص في ظل خلفيته التاريخية، وتركز تلك النوعية من الدراسات الثقافية على أن أهمية الثقافة تتأتى من كون الثقافة تعين على تشكيل التاريخ[٢]

والتناص عند كثير من النقاد تطعيم ثقافي للنص بمضمون أو تقنية فنية أو تراكيب لغوية في نص آخر للكاتب نفسه أو غيره، ومن المعلوم أن الأصل التعددي في التناص يلتقي مع انفتاح الثقافة وتعدديتها، والتناص ينطوي على إفادة نص لغويا أو من الناحية البنيوية من نص آخر.[٣]

---

(١) ينظر: التناص في شعر الرصافي، أحمد عيضة الثقفي، مجلة كلية الآداب جامعة الطائف، العدد السابع، ٢٠١٢م، ص ١٢ وما بعدها

(٢) ينظر: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥م، ص١٧

(٣) ينظر: التناص والنقد الثقافي، فداء إسماعيل حسين، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، ٢٠١٣م، ص ٦٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كان لاطلاع البارودي على التراث دوره الذي لا ينكر في عملية التناص من هذا التراث الغني، ولا شك أن التناص يجعل من النص الجديد نصا مألوفا لدى المتلقي من خلال استدعاء عوالم أخرى لعالم النص الجديد، ولا شك أن النصوص القديمة قد يصيبها بعض التحولات أو التغييرات الدلالية نتيجة وجودها في نصوص جديدة(١)

وقد أباح النقاد للشاعر أن يأخذ من سابقيه؛ فإذا تناول الشاعر معاني من سبقوه فكساها كسوة حسنة أفضل مما كانت عليه، لم يُعَب عليه ذلك، بل عُدَّ لطفا وإحسانا(٢) وهو ما يؤدي إلى تداخل النصوص وتقاطعها، ولا يوجد نص يخلو من حضور أجزاء ومقاطع من نصوص أخرى، ومن أوضح صور التداخل الاستشهاد بنص آخر في نص جديد(٣)

ومن ثم يمكن القول إن النص ما هو إلا متعدد؛ لأن قراءات الأديب وما يطلع عليه من أمور ثقافية-لا شك- ينعكس- بوعي أو بدون وعي- على ما تنتجه قريحته، والكاتب لا ينشئ ما ينشئه من العدم، بل من خلال المشترك العام من ثقافة العصر وأساليبه(٤) ولعل هذا ما أكده عنترة حينما قال:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم(٥)

أي أن الأول لم يترك للآخر شيئا يقوله، ولم يترك الشعراء شيئا يصاغ فيه شعر إلا قالوا فيه.

---

(١) ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ص٥٩

(٢) ينظر: عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ت، ١/ ١٢٣

(٣) ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ص ١٠٠

(٤) ينظر: السابق، ص ١٠٢

(٥) ينظر: شرح المعلقات السبع للقاضي أبي عبد الله الزوزني، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م، ص ٢٠١

أ- التناص من الشعر

نظم البارودي كثيرا من نصوصه متكئا على ما حفظته قريحته من كنوز الشعر العربي في أزهى عصوره، وليس معنى ذلك أن البارودي كان مقلدا ومكررا ما قاله السابقون، بل كان مجددا فيما استلهمه، فأعمل فيه عقله وقلبه.

وقد يتناص الشاعر مع غيره في الألفاظ والصور ويختلف عنه في الغرض الشعري، ومن ذلك التناص ما نظمه البارودي في قصيدته (ذم الحكام وحض الناس على طلب العدل في الأحكام) في أواخر عهد حكم الخديوي إسماعيل، عندما ساءت أمور الحكم في مصر، واضطربت الأوضاع المالية، وبدأت الدول الأجنبية، وخاصة إنجلترا وفرنسا، تتدخل في شئون مصر، وتبرم المصريون من هذا التدخل الشنيع، ورأوا أنه لا سبيل للخلاص من هذه الفوضى إلا بالتخلص من إسماعيل الذي كان سببا مباشرا فيما آلت إليه الأوضاع، بعد أن كان قد نهض بمصر في أول حكمه(١)

يبدأ الشاعر قصيدته متغزلا بالمعالي والقيم العظيمة، لا بالفتيات الجميلات، وهو في هذا يسير على نهج القدامى في بدء قصائدهم بالغزل، وهو منهج جاهلي في بناء القصيدة يعكس اطلاع الشاعر على التراث وثقافته الواسعة في هذا الأمر، فمنذ الجاهلية وللقصيدة منهج فني تسير عليه، يبدأ ببكاء الأطلال وذكر الديار ومن بها، ثم وصف الرحلة للمحبوب وما يركبونه من إبل وخيل، ثم يخرجون إلى الغرض من قصيدتهم مديحا أو هجاء أو فخرا... إلخ (٢)

---

(١) ديوان البارودي، محمود سامي البارودي، ص٣٩٦

(٢) ينظر: العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١١، د . ت، ص١٨٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولاشك أن المتلقي حينما يسمع أبيات البارودي ينتقل لحياة القصيدة ليعرف مضمونها العام، وهو ما سيحيله مباشرة إلى قول الشاعر الكميت بن زيد الأسدي من العصر الأموي؛ إذ يقول(من بحر الطويل) في مدح بني هاشم:

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ... ولاَ لَعِباً أذُو الشَّيبِ يَلعَبُ
ولم يُلهِنِي دارٌ ولا رَسمُ مَنزِلٍ ... ولم يَتَطَرَّبنِي بَنانٌ مُخَضَّبُ
وَلاَ أنَا مِمَّن يَزجرُ الطَّيرَ هَمُّهُ ... أصَاحَ غُرَابٌ أم تَعَرَّضَ ثَعلَبُ
ولا السَّانِحَاتُ البَارِحَاتُ عَشِيَّةً ... أمَرَّ سَلِيمُ القَرنِ أم مَرَّ أَعضَبُ
وَلكِن إلى أهلِ الفَضَائِلِ والنُّهَى ... وَخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ[1]

فقلب الشاعر يرفض الغي والجهل، وهو قلب متعلق بطريق المجد ومعالي الأمور، يترفع عن الهزل، لا يصرفه عن المجد ما يفتن به الرجال في أغلب الأحوال من جمال المرأة وسحرها، مقررا أنه يحب البيض، قاصدا بها السيوف لا النساء الجميلات، فإذا كان التلهي بالنساء سُكْر يذهب العقل فإن سعيه طلبا للمجد يعد صحوا يوقظه ويذكي فؤاده وعقله، وفارق كبير بين الداعي للمكرمات والباكي على رحيل المحبوبات، وهو ما يستوجب من المرء الحذر، وألا يركن إليه؛ فالملق كالسراب، له حسن ورواء، لكنه لا يروي غلة، ولا يطفئ ظمأ، ولو يعلم المرء ما في الناس من حقد لظلَّ منهم في شك وريبة، فلا يجب أن نثق بمودة الآخرين قبل معرفتهم جيدا؛ فإن الودَّ يتشابه صادقه وكاذبه كما يتشابه المصنوع والمطبوع من الكُحْل والكَحَل،

(١) ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق د.نبيل محمد طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص٥١٢

وعلى المرء أن يحذر النميمة، وألا يتأثر بها، فهي كالنار، وتمزق شمل الود، وتفرق بين الأخلاء. ولعل التناص هنا يعكس ثقافة الشاعر وولعه بالتراث ومفرداته.

والغرضان اللذان قيل فيهما النصان مختلفان بل متعارضان؛ فالبارودي غرضه ذم الحكام، والكميت غرضه المدح.

وعندما يقول البارودي:

يأبى لي الغيَّ قلبٌ لا يميلُ به عن شرعةِ المجدِ سحرُ الأعينِ النُّجُلِ[١]

هذا البيت الذي قاله البارودي يحيل المتلقي مباشرة إلى قول المتنبي :

عزيزُ أسى مَنْ داؤه الحَدَقُ النُّجْلُ عياءٌ به ماتَ المحبونَ مِنْ قَبْلُ[٢]

ولا شك أن المتنبي يحظى بمكانة كبيرة لدى الشعراء العرب جميعا، وقد حرصوا على معارضته، وحرص بعضهم على تضمين بعض أبياته في شعرهم.

ومن التناص في اللفظ والمعنى يقول البارودي في قصيدته التي يعرِّض فيها برؤساء الجند الذين تخاذلوا عنه في الثورة العرابية وتركوه يواجه وحده جيش العدو:

بلوت بني الدنيا فلم أر صادقا فأين لعمري الأكرمون الأصادق[٣]

---

(١) ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، ص٥١٢ .

(٢) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ٢ / ١٦٨

(٣) ديوان البارودي، ص٣٧٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكان البارودي يقاتل بقوات غير نظامية فتخاذل عنه جنوده وفروا من المعركة، فلقي الأمرين من الجهل والخيانة والجبن.

يتناص الشاعر هنا مع قول الإمام الشافعي:

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهمُ سوى من غدا والبخل ملء إهابه

فجردت من مد القناعة صارما قطعت رجائي منهم بذبابه[١]

ومنه قول البارودي أيضا واصفا تخاذل الجند عنه:

أسود لدى الأبيات بين نسائهم ولكنهم عند الهياج نقانق[٢]

وهو يتناص مع قول الشاعر عمران بن حطان مخاطبا الحجاج:

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى أم كان قلبك في جناحي طائر

وهما البيتان اللذان قالهما أحد الشعراء في الحجاج بن يوسف الثقفي لما فرَّ من مواجهة امرأة (غزالة زوجة شبيب الخارجي) حينما دعته إلى المبارزة ففرَّ منها، وصار يضرب كناية عن الجبان الذي يظهر شجاعته على المسالمين، وينهزم من الشجعان

ويُضرَب صَدرُ هذا البيت من الشِّعرِ مثلاً، لِمن يَتقَاوى على ضعيف، ولكنه في مواجهة الشجعان والفرسان أجْبَن من نَعامة[٣].

---

(١) ديوان الإمام الشافعي، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٥٢

(٢) ديوان البارودي، ص ٣٧٩

(٣) ينظر: أعلام النساء ، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٥٩م، ج٤/٨، وينظر أيضا البيان والتبيين للجاحظ

يقول البارودي وهو في سرنديب:

كفى بمقامي في سرنديب غربة ... نزعت بها عني ياب العلائق

ومن رام نيل العز فليصطبر على ... لقاء المنايا واقتحام المضايق[١]

يتناص مع قول المتنبي في مدح كافور الإخشيدي عندما جاء الشاعر إلى مصر:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا [٢]

ويقول البارودي أيضا وهو في منفاه بسرنديب في القصيدة السابقة:

فإن تكن الأيام رنَّقن مشربي ... وثلَّمن حدي بالخطوب الطوارق

فما غبرتني محنة عن خليقتي ... ولا حولتني خدعة عن طرائقي[٣]

يتناص مع قول عمرو بن كلثوم:

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدرا وطينا[٤]

والحق أن البارودي مطلع على التراث، وقد اهتدى بفطرته لشعر الفرسان، يقرؤه ويعيش معهم، فيطوون الزمن ويحملون الشاعر معهم لزمنهم فيسمع قعقعة السلاح، ويشهد انتصاراتهم وانكساراتهم، وقد استهوى البارودي ذلك الشعر[٥] وهذا الأخذ من التراث والتعاطي معه أمر شرعي أباحه النقاد، ومنهم الآمدي الذي يرى أن الفصحاء والبلغاء وصفوا

---

(١) ديوان البارودي، ص ٣٨٦

(٢) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص ٤١٧

(٣) ديوان البارودي، ص ٣٨٦

(٤) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني، تقديم عبد الرحمن المصطاوي ، ص ١٩٥

(٥) ينظر: محمود سامي البارودي، شاعر النهضة، د. علي الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٧٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ما يستجاد وما يستحب من الأدب شعره ونثره، وقالوا إنه كلام آخذ برقاب بعض [١]

وقد قال البارودي في رثاء عثمان رفقي الجركسي الذي كان ناظرا للجهادية، وقد عزله الخديوي توفيق وعيَّن مكانه البارودي، ولكن البارودي سرعان ما استقال لما أحس أن الخديوي توفيق يريد به سوءا، وقال في ذلك:

إنما المرء باللسان وبالقلـ ـبِ فإن خاب منهما فهو فسل[٢]

وهو في هذا المعنى متأثر بقول زهير بن أبي سلمى:

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[٣]

وزهير من شعراء الجاهلية الذين عرفوا بالحكمة والرزانة في شعره، والبارودي متأثر بمضمون بيت زهير بن أبي سلمى، وقد قرأ شعره وحفظ بعضا منه حينما بدأ نظم الشعر، وأخذ منه هذا المعنى وإن كان قد غيَّرَ في اللفظ، وهذا من المعاني الشائعة المتعارف عليها بين الناس.

يقول البارودي:

دع الذل في الدنيا لمن خاف حتفه فللموت خير من حياة على أذى[٤]

---

(١) ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت، ص١ / ٥٣٩

(٢) ديوان البارودي، ص٤٩٨

(٣) شرح المعلقات السبع، الزوزني، ص ١٣٠

(٤) ديوان البارودي، ص ١٩٣

وهو يتناص في ذلك مع قول عنترة بن شداد في إغارته على بني حريقة:

حكم سيوفك في رقاب العذل وإذا نزلت بدار ذل فارحل

موت الفتى في عزة خير له من أن يبيت أسير طرف أكحل

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل[١]

والتناص هنا في اللفظ والمعنى، ويتقارب الغرض الشعري لكلا النصين إلى حد كبير، فالبارودي قال قصيدته في التحميس والحث على ترك الذل، وعنترة قالها في ميدان القتال تحريضا على الشجاعة وتحميسا وحثا للناس.

وعندما سجن البارودي قال وهو في سجنه :

شفني وجدي وأبلاني السهر وتغشتني سمادير الكدر

فسواد الليل ما إن ينقصني وبياض الصبح ما إن ينتظر[٢]

الشاعر هنا متأثر بالشاعر الجاهلي امرئ القيس في مطلع معلقته واصفا الليل الطويل الذي لا ينتهي:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل[٣]

---

(١) ديوان عنترة بن شداد، مطبعة الآداب، بيروت، لبنان، د.ط، ١٨٩٣م، ص٧٠

(٢) ديوان البارودي، ص ٢٥٢

(٣) شرح المعلقات السبع، الزوزني، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٤٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالبارودي الشاعر المطلع المثقف لا ينسى الشعر الجاهلي بل هو حاضر في ذهنه، ويتمثل وصف امرئ القيس وهو يشكو طول الليل، متمنيا زواله؛ حتى يتخلص من الألم النفسي .

وقال وهو في سرنديب يتشوق لوطنه:

هل من طبيب لداء الحب أو راقي ... يشفي عليلا أخا حزن وإيراق

حزن براني وأشواق رعت كبدي ... يا ويح نفسي من حزن وأشواق

أكلف النفس صبرا وهي جازعة ... والصبر في الحب أعيا كل مشتاق[١]

ويبدو تناص الشاعر وثقافته حاضرة من خلال تمثله لواحد من أبرز شعراء الجاهلية، وهو الشاعر زهير بن أبي سلمى، إذ يقول:

فقري في بلادك إن قوما ... متى يدعوا بلادهم يهونوا [٢]

وقد يبدو البارودي متأثرا بفكرة ما وردت في الشعر العربي، مثل جمال العيون وتشبيهها بعيون المها، فعندما خرج البارودي من وطنه مصر عقب فشل الثورة العرابية وهزيمة الجيش المصري على يد الإنجليز، قال قصيدته التي مطلعها:

محا البين ما أبقت عيون المها مني ... فشبت ولم أقض اللبانة من سني[٣]

والشاعر، لاطلاعه على الثقافة العربية والتراث العربي، قد تأثر بفكرة عيون المها التي ورد ذكرها كثيرا في الشعر العربي وقد تغزل الشعراء في محبوباتهن وشبهوا عيونهن بعيون المها، ومن ذلك قول الشاعر:

---

(١) ديوان البارودي، ص ٣٧٠

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، للأعلم الشمنتري، المطبعة الحميدية المصرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ، ص ٨٣

(٣) ديوان البارودي ، ص٦٢٥

عيون المها بين الرصافة والجسر　　قتلننا من حيث أدري ولا أدري

وقول الشاعر ابن الساعاتي:

عيون المها مالي بسحرك من يد　　ولا في فؤادي موضـــــع للتجلد

رويدا بقلب مســـتهام متيــم　　ورفقا بذي الجفن القريح المسهد[١]

يقول البارودي في لاميته في ذم الحكام:

إذا لم يكن للفتى عقل يعيش به　　فإنما هو معدود من الهمل[٢]

نلمح فيه تأثره بالتراث الشعري العربي الذي أعلا مـــن شـــأن العقـــل كثيرا، ومن ذلك قول المتنبي:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم　　أدنى إلى شرف من الإنسان[٣]

وقيام الشاعر باستدعاء الشخصيات والأقوال هو لجوء مـــن الشـــاعر للمخزون الثقافي الذي يملكه، يأخذ منه ما يتوافق مع رؤيته الشعرية.

ب – التناص من النثر:

لم يقتصر البارودي على الاطلاع على عيون الشعر العربي ، بل امتد الأمر ليشمل النثر الفني، ومن ذلك قوله في هجائه الخديوي إسماعيل :

فأين الملوك الأقدمون تســـنموا　　قلال العلا فالأرض منهم بلاقع

مضوا وأقام الدهر وانتاب بعدهم　　ملوك وبادوا واستهلت طلائع[٤]

---

(١) ديوان ابن الساعاتي، عني بتحقيقه ونشره أنيس المقدسي، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٨م، ص ١٢٠

(٢) ديوان البارودي، ص ٤٠٩

(٣) ديوان المتنبي، دار بيوت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص٤١٤

(٤) ديوان البارودي ، ص ٣١٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهو هنا متأثر بقول قس بن ساعدة الإيادي في خطبته المشهورة في سوق عكاظ :

" أيها الناس اسمعوا وعوا إنه من عاش مات ومن مات فات ... أين الآباء والأجداد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا وأطول آجالا؟ طحنهم الدهر بكلكله ومزقهم بتطاوله "(١)

ولا شك أن البارودي قد اطلع على خطبة قس بن ساعدة الإيادي، لأن البارودي قد اطلع على عيون التراث العربي وهذا ما أكده المرصفي في كتاب الوسيلة الأدبية من أن البارودي هو الشاعر المثالي لأنه امتلك خاصية أسلوب الشعر، وامتلك الطبع النقي، والذهن الذكي، وقاده هذا بطبيعة الحال إلى قراءة أساليب الشعر القديم؛ ومن ثم تمثل هيئات التراكيب العربية وخصائصها، وقرأ دواوين القدامى وحفظها دون كلفة، واستثبت جميع معانيها (٢)

مع اختلاف الموقفين اللذين قيل فيهما النص الأدبي؛ فقس ينصح قومه ويحثهم على التخلي عن المتع الزائلة مسترشدا بموت الآباء والأجداد، بينما البارودي يهجو الخديوي إسماعيل ويحذره مغبة الظلم والتجبر، مستشهدا بأن الدنيا لا تدوم، وأن مصيره لزوال.

والشاعر هنا ممثل للصوت الثقافي الجمعي وما يحمله من هموم بحكم تواصله المعرفي مع الناس.

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد ذكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٣٤م، ج ١، ص٣٨

(٢) ينظر: الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، حسين المرصفي، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ١٢٩٢هـ، ج٢، ص٤٦٥

وقوله في ذات القصيدة:

أرى أرؤوسا أينعت لحصادها فأين ولا أين السيوف القواطع[١]

متأثر بمقولة الحجاج بن يوسف الثقفي(في العصر الأموي) عندما خطب في أهل العراق عام ٧٥هـ، محذرا إياهم من مغبة الخروج عليه وعصيانه، فقال: " والله يا أهل العراق والشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق إني لأرى أرؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لحاصدها " [٢]

والموقف الذي قال فيه الحجاج خطبته هو موقف تهديد ووعيد، وهو يتفق مع موقف البارودي الذي قال فيه بيته السابق، وهو يحذر الخديوي وأتباعه من مغبة الظلم، ومن ردة فعل الشعب الذي لن يتوانى عن معاقبة الظالمين والفاسدين، فالبارودي هنا يتخذ موقفا يتفق مع موقف الشعب الغاضب من تسلط السلطة، ويمكن التأكيد على أن البارودي وظف التناص توظيفا جماليا ليصنع أنساقا متوارية خلف لغته الجمالية ليوجه السلطة الحاكمة نحو أمور غابت عنها كان يجب أن تلتفت إليها.

(١)

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد ذكي صفوت، ج ٢، ص٣٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني: التناص الديني

يرى بعض النقاد أن كل نص هو امتصاص وتحويل لنصوص أخرى[١]، وهو ما يجعل الشاعر- أي شاعر- يبني نصوصه معتمدا على ما يحيط به من ثقافة جدية أو فكر يراه مناسبا، والنصوص، بشكل عام، تتشكل من خلال الخطابات، سواء السابقة عليها أو المعاصرة لها، تأييدا لها أو معارضة ورفضا[٢]

كان للدين حضوره في شعر البارودي، وذلك لما للدين من تأثير في حياة الناس، وكونه المحرك الأساسي لحياتهم، وكونه يمثل عنصر إقناع وعامل توجيه في الوقت ذاته، وخصوصا حينما يتعلق الأمر بمجال السياسة والحكم، وقد ورد في شعر البارودي السياسي أبيات بدا فيها واضحا ثقافته الدينية، وميله الواضح للمعجم الديني بمفرداته وتراكيبه اللغوية.

ومن التناص الديني قوله

أمرت بمعروف وأنكرت منكرا ... وذلك حكم في رقاب الخلائق

فإن كان عصيانا قيامي فإنني ... أردت بعصياني طاعة خالقي[٣]

نجد البارودي قد اختزن ودمج عوالمه الثقافية من خلال مخزونه بالذاكرة، ونجد النصوص قد تشابكت على نحو فريد، واستوحى الشاعر

---

(١) ينظر: أصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة مؤلفين، ترجمة أحمد المديني، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م، ص ١٠٣

(٢) ينظر: نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة للطبع والنشر، الجزائر، ط٢، ٢٠١٠م، ص ٢٨٢

(٣) ديوان البارودي، ص ٣٨٧

النص القرآني في سورة آل عمران:" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" وأسقطها على نصه الشعري لإثرائه، وليخلق دلالة جديدة تبهر قارئ النص الشعري.

وظاهرة تداخل النصوص ظاهرة معروفة في الثقافة العربية وسمة جوهرية لا غنى عنها، وفي ذاكرة العربي تجد العوالم الثقافية متجاورة متداخلة على نحو مذهل(١)

ومن التناص أيضا قوله في قصيدة له منددا بالخديوي إسماعيل الذي حرص على جمع المال مستخدما كل الوسائل لجمعه، يقول البارودي منددا به:

وذرهم يخوضوا إنما هي فتنة لهم بينها عما قليل مصارع(٢)

يبدو التناص فيها مع قوله تعالى في سورة الزخرف: " فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون" حيث ورد الإنذار والتهديد لكفار مكة لما كفروا برسالة النبي (ص) ولم يصدقوه، وهنا نجد البارودي قد استوحى اللفظ القرآني، وأسقطه على النص الشعري، خالقا منه دلالة جديدة.

وهذا التناص من القرآن لم يأت عفويا من قبل البارودي، ولم يأت لغاية جمالية فقط، بل هو يعكس ثقافة البارودي الدينية واطلاعه على القرآن بشكل جيد يمكنه من استدعاء آياته ومفرداته وقتما شاء.

---

(١) ينظر: ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، د.عبد الله محمد الغذامي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م، ص١١٩

(٢) ديوان البارودي ، ص ٣١٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتناص القرآني في النموذجين السابقين جاء صريحا؛ فالقارئ يلمح دون جهد فكري أو تأمل الألفاظ القرآنية فيسهل عليه معرفة الآية التي أخذ منها الشاعر كلامه.

ويبدو التناص واضحا في قصيدته التي قالها مهاجما الخديوي إسماعيل وما فعله بمصر، وقد تنبأ الشاعر بزوال ملكه، ومؤكدا في الوقت ذاته أنه لا يعلم الغيب، يقول البارودي:

ولست بعلام الغيوب وإنما أرى بلحاظ الرأي ما هو واقع(١)

وهو متأثر بالقرآن الكريم في قوله تعالى" قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون "سورة النمل آية ٦٥

يقول البارودي في معرض هجائه للخديوي إسماعيل:

أصبرا على مس الهوان وأنتمُ عديد الحصى إني إلى الله راجع(٢)

يبدو فيها الشاعر متأثر بالسياق القرآني في سورة البقرة في قوله تعالي:" الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" وهو ما يوحي باعتباره أن صبر المصريين على الذل ورضاهم به يعد من المصائب التي تستوجب أن يرجع لله يستمد منه العون والمساعدة، ويقول في ذات القصيدة لائما على المصريين تكاسلهم ونومهم عن إجابة دعوته :

ألا إنها تلك التي لو تنزّلتْ على جبل أهوت به فهو خاشع(٣)

---

(١) ديوان البارودي ، ص ٣١٦
(٢) السابق، ص ٣١٩
(٣) السابق، ص ٣٢٠

يبدو في البيت التناص من القرآن الكريم في قوله تعالى:" لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون" سورة الحشر آية ٢١

ومن التناص الديني قوله في قصيدته التي يصف فيها دوره في الثورة:

وهل دعوة الشورى عليّ غضاضةٌ وفيها لمن يبغى الهدى كل فارق

بلى إنها فروض من الله واجبٌ على كل حي من مسوق وسائق[١]

والشاعر هنا متأثر بقوله تعالى:" وأمرهم شورى بينهم "سورة الشورى آية ٣٨ وقوله تعالى : " وشاورهم في الأمر"سورة آل عمران آية ١٥٩

والتناص الديني في شعر البارودي السياسي هو تناص خارجي؛ إذ أفاد الكاتب من نص آخر(ديني) وهو ما نتج عنه تجاوز نصوص البارودي حدود التجنيس الأدبي إلى فضاء ثقافي.

ومن المعلوم أن اتكاء الشاعر على نصوص غيره أو ما عرف بالاقتباس هو دليل على أثر ثقافي واعٍ أو غير واع، وقصدية أي أديب لاقتباس نص يكون مدفوعا بنسق ثقافي لدى المبدع؛ حيث يتم اقتطاع حدث لغوي ثقافي ثم ينقل بأنظمته الثقافية وبنائه الفني إلى نص آخر جديد، وتوظيف هذا المقتَبس في سياقه المأخوذ يؤدي إلى تجلية تخلق نسقا ثقافيا[٢]

(١) ديوان البارودي ، ص ٣٨٧

(٢) ينظر: التناص والنقد الثقافي، فداء إسماعيل حسين، ص٩١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في شعر البارودي السياسي ودراسة التناص الثقافي في شعره يمكن الخروج بعدة نتائج، لعل من أهمها ما يلي:

١- البارودي ابن بيئته، بيئة عصر مطلع النهضة، وهي البيئة التي زخرت بكثير من الأحداث على عدة مستويات منها المستوى الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي والحضاري.

٢- نشأ البارودي في بيئة مليئة بالأحداث الدموية الحربية وما نتج عنها من نتائج سياسية واقتصادية ومجتمعية، وشهد الشاعر الفتن والاضطرابات والثورات والاحتلال والحرب والهزيمة والسجن والنفي؛ وهو ما أدي إلى أن يعيش الشاعر حالة من عدم الرضا والغضب والضيق مما يحدث في بلاده وما يحدث لها وما تتعرض له من احتمال الاحتلال والوقوع فريسة تحت نير الاحتلال، وهو ما تحقق فعليا فيما بعد، ولم يكن البارودي جبانا رعديدا بل كان شجاعا لايهاب الموت، ولا يخشى لقاء الأعداء، ويتضح هذا في شعره الذي قاله وسار فيه على نهج القدامى، متناصا مع كثير من أشعارهم.

٣- شعر البارودي السياسي شعر صادق يعكس شاعريته، وهو يحاول فيه جاهدا إيصال فكره وإقناع متلقيه بما يقوله؛ وربما لذلك اعتمد الشاعر على التناص من التراث؛ لما للتناص من مصداقية لدى المتلقي.

٤- لجأ الشاعر للتناص من المصدر الأدبي، شعره ونثره، وذلك لما للتراث من دور كبير في تشكيل وجدان الأمة.

٥- لجأ الشاعر للتناص من المصدر الديني المتمثل في القرآن الكريم، وهو تناص لم يأت عفويا من قبل البارودي، ولم يأت لغاية جمالية فقط، بل هو يعكس ثقافة البارودي الدينية واطلاعه على القرآن بشكل جيد يمكنه من استدعاء آياته ومفرداته وقتما شاء.

٦- نجح البارودي في توظيف التناص، وقد عكس هذا التناص الذي اتكأ عليه البارودي ثقافته الواسعة واطلاعه على عيون التراث العربي شعره ونثره، إضافة لثقافته الدينية الواسعة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا الكتب:

- الأدب العربي المعاصر في مصر، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١٠، د.ت.
- أصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة مؤلفين، ترجمة أحمد المديني، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م
- أعلام النساء ، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٥٩م،
- تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، د. أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٩٤م.
- ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، د.عبد الله محمد الغذامي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م، ص١١٩
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد ذكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٣٤م،
- ديوان ابن الساعاتي، عني بتحقيقه ونشره أنيس المقدسي، المطيعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٨م.
- ديوان الإمام الشافعي، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ديوان البارودي، تحقيق وضبط علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م.

- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق د.نبيل محمد طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م،
- ديوان عنترة بن شداد، مطبعة الآداب، بيروت، لبنان، د.ط، ١٨٩٣م
- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م
- شرح المعلقات السبع للقاضي أبي عبد الله الزوزني، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م،
- شرح المعلقات السبع، الزوزني، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م،
- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م،
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، للأعلم الشمنتري، المطبعة الحميدية المصرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ،
- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١١، د . ت
- عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ت
- في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دط، دت، القاهرة،
- محمود سامي البارودي شاعر النهضة، د. علي الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م

- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب، تقديم طه حسين،مطبعة حكومة الكويت، وزارة الإعلام، د.ت
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت
- نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة للطبع والنشر، الجزائر، ط٢، ٢٠١٠م.
- النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥م
- الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، حسين المرصفي، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ١٢٩٢هـ.
- ثانيا :المجلات:
- التناص في شعر الرصافي، أحمد عيضة الثقفي، مجلة كلية الآداب جامعة الطائف، العدد السابع، ٢٠١٢م
- شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي، مجيد صدقي مزيدي، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية، للغة العربية وآدابها، العدد(٢١) ٢٠١١م،

ثالثا: الرسائل الجامعية:

- التناص والنقد الثقافي، فداء إسماعيل حسين، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، ٢٠١٣م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٧٤٤١
٢-	Abstract	٧٤٤٢
٣-	مقدمة البحث	٧٤٤٣
٤-	التمهيد	٧٤٤٧
٥-	التعريف بالبارودي وسمات شعره:	٧٤٤٧
٦-	تكوين البارودي الثقافي وأساتذته	٧٤٥٠
٧-	شعر البارودي السياسي	٧٤٥١
٨-	المبحث الأول: التناص الأدبي	٧٤٥٣
٩-	التناص من الشعر	٧٤٥٥
١٠-	ب – التناص من النثر:	٧٤٦٣
١١-	المبحث الثاني: التناص الديني	٧٤٦٦
١٢-	الخاتمة	٧٤٧٠
١٣-	المصادر والمراجع	٧٤٧٢
١٤-	فهرس الموضوعات	٧٤٧٥